تقدير موقف

مركز البيان للدراسات والتخطيط
Al-Bayan Center for Studies and Planning

زيـارة الرئيـس الإيـراني إلى العـراق
الأسباب والمآلات

علي نجات

سلسلة اصدارات مركز البيان للدراسات والتخطيط

مركز البيان للدراسات والتخطيط
Al-Bayan Center for Studies and Planning

زيارة الرئيس الإيراني إلى العراق: الأسباب والمآلات

سلسلة اصدارات مركز البيان للدراسات والتخطيط / قسم الابحاث
الدراسات السياسية

الاصدار / ورقة تقدير موقف

الموضوع / السياسة الداخلية والخارجية / شؤون إقليمية ودولية

علي نجات / كاتب وباحث أكاديمي، متخصص في شؤون الشرق الأوسط

عن المركز

مركزُ البيان للدراسات والتخطيط مركز مستقلٌّ، غيرُ ربحيٍّ، مقرُّه الرئيس في بغداد، مهمته الرئيسة -فضلاً عن قضايا أخرى- تقديم وجهة نظر ذات مصداقية حول قضايا السياسات العامة والخارجية التي تخصّ العراق بنحو خاصٍ، ومنطقة الشرق الأوسط بنحو عام. ويسعى المركز إلى إجراء تحليلٍ مستقلٍّ، وإيجاد حلول عملية جليّة لقضايا معقدة تهمُّ الحقليْنِ السياسي والأكاديمي.

ملحوظة:

لا تعبّر الآراء الواردة في المقال بالضرورة عن اتجاهات يتبناها المركز، وإنّما تعبّر عن رأي كتابِها.

حقوق النشر محفوظة © 2024

www.bayancenter.org
info@bayancenter.org
Since 2014

المقدمة

وصل الرئيس الإيراني الجديد مسعود بزشكيان في 11 أيلول/ سبتمبر 2024، إلى العاصمة العراقية بغداد على رأس وفد سياسي واقتصادي رفيع المستوى في زيارته الخارجية الأولى بعد توليه منصبه، بدعوة رسمية من رئيس الوزراء العراقي محمد شياع السوداني.

واستمرت زيارة بزشكيان إلى العراق ثلاثة أيام متتالية، عقد الرئيس الإيراني خلالها سلسلة من الاجتماعات الرسمية مع كبار المسؤولين العراقيين بما في ذلك نظيره العراقي عبد اللطيف رشيد، ورئيس الوزراء محمد شياع السوداني، ورئيس مجلس النواب ورئيس السلطة القضائية، بالإضافة إلى لقاءات مع الإيرانيين المقيمين في العراق ورجال الأعمال.

وشملت زيارة بزشكيان 6 محافظات عراقية وهي بغداد وأربيل والسليمانية، وكر بلاء، والنجف، والبصرة. وبحسب بيان مكتب رئيس مجلس الوزراء العراقي، فإن السوداني وبزشكيان رعيا توقيع 14 مذكرة تفاهم في عدة مجالات بينها التعاون التدريبي والشباب والرياضة والتبادل الثقافي والفني والآثاري والتربية والإعلام والاتصالات وتفويج المجاميع السياحية الديني المناطق الحرة والزراعة والموارد الطبيعية.

تأتي زيارة الرئيس الإيراني الجديد، مسعود بزشكيان، إلى العراق في فترة تشهد فيها العلاقات بين البلدين كثيرا من التعقيدات. كما أنها تتزامن مع توترات إقليمية عديدة، أبرزها حرب الاحتلال الإسرائيلي على غزة التي تُلقي بظلالها على الأوضاع السياسية في العراق والمنطقة كلها. ويأتي اختيار الرئيس الإيراني الجديد العراق وجهته الأولى يدل على الملفات السياسية والاقتصادية والأمنية المهمة المتشابكة بين البلدين اللذين يشتركان في حدود تمتد لأكثر من مسافة 1450 كم، وأهمية العلاقات بينهما وتنامىها بعد مرور عقدين على الغزو الأميركي. وفي هذا الإطار تسعى هذه الورقة البحثية للإجابة على سؤالين أساسيين: ما أسباب اختيار العراق ليكون الرحلة الخارجية الأولى للرئيس الإيراني الجديد؟ وما هي مآلات ونتائج زيارة الرئيس الإيراني للعراق؟

مكانة العراق في السياسة الخارجية الإيرانية

يعد العراق أحد جيران إيران المهمين والإستراتيجيين. خلال القرون الماضية، وخاصة منذ بداية القرن العشرين وبعد الدولة العثمانية وتشكيل الحكومة العراقية، أصبحت للعراق مكانة خاصة ومتميزة في السياسة الخارجية الإيرانية وذلك بسبب تداخل التاريخ، الثقافة، الدين، وحتى العرق. ومن جانب آخر فإن الحدود المشتركة بين إيران والعراق تمتد لأكثر من 1400 كيلومتر وهي تعد أوسع حدود بين غيرها و كما يتضح من التاريخ، كان لهذا البلد دائماً تأثير على الأمن القومي الإيراني ومصالحه، ولهذا السبب فإن العراق يتمتع بمكانة خاصة ومتميزة في نظام السياسة الخارجية لإيران في جميع الظروف إذ يمكن اعتبار الموقع الجغرافي للعراق بالنسبة إلى إيران، البوابة الشرقية نحو العالم العربي حيث أن إحدى أدوات السياسة الخارجية لإيران تتمثل في استثمار القدرات والمكونات الثقافية ونشرها خارج حدود البلاد، وخاصة في الوطن العربي، لغرض التواصل والتبادل الثقافي معه. 1

لا شك أن العراق يمثل محورًا أساسيًا في الاستراتيجية الإيرانية للتواجد في منطقة الشرق الأوسط، ويحظى العراق باهتمام كبير من قبل القيادة الإيرانية، لكن ما هي الأسباب التي جعلت من العراق الوجهة الخارجية الأولى للرئيس الإيراني الإصلاحي الجديد؟ في الواقع فإن العراق بلد ذو أهمية استراتيجية بالنسبة لإيران، ولكن بزشكيان اختاره ليكون وجهته الخارجية الأولى لأسباب عديدة على رأسها إثبات تنفيذه لتوجيهات المرشد الأعلى، وتأكيده على تنفيذ السياسات الخارجية التي ناقشها المرشد مع بزشكيان منذ وقت قصير. وخاصة أن بزشكيان يريد تأييد المرشد الأعلى وأنصاره في مسألة إعادة التفاوض مع الغرب وواشنطن، ويعرف جيداً أنه لن يحصل على هذا الدعم إلا إذا حصل على ثقة المرشد وتأكيده على أنه يسير على خطى الرئيس الراحل إبراهيم رئيسي في السياسة الإقليمية.2 بمعنى آخر، يطمح بزشكيان إلى كسب ثقة المرشد الأعلى في مجال السياسة الخارجية ليتمكن من إحياء المفاوضات النووية مع الغرب والولايات المتحدة والتي توقفت في عهد الرئيس الإيراني الراحل إبراهيم رئيسي، دون أن يلقى معارضة من المعسكر الأصولي الذي يرفض المفاوضات مع القوى العالمية.

1. مليكة كريمي ونفيسة واعظ، «دراسة الفرص والقيود والعوامل المؤثرة على العلاقات الإيرانية العراقية»، (بررسی فرصتها، محدودیتها وعوامل تاثیرگذار بر روابط ایران و عراق)، الدراسات الاستراتيجية للعلوم الإنسانية والإسلامية، العدد 46، 2022، ص273.
2. «كواليس أول زيارة خارجية للرئيس الإيراني الجديد للعراق.. طلب الوساطة في الملف النووي وخلافات حول المشاريع المشتركة»، عربي بوست، 13 سبتمبر 2024، على الرابط:
https://arabicpost.live//2024/09/13/

كما يعتبر الرئيس الإيراني الجديد العراق أقرب صديق لإيران، لاعتبارات كثيرة، ولديه اهتمامات وتطلعات مشتركة، ولدى العراق علاقة سياسية واقتصادية وأمنية ممتازة، وفي الوقت الذي تريد إيران أن تضمن أمنها وضبط الحدود، فإن العراق هو الآخر يبحث عن استقراره. ووفقاً لوزير الخارجية الإيراني، عباس عراقجي، قال في حديث إلى قناة «الفرات» العراقية قبل الزيارة، إن «اختيار الرئيس مسعود بزشكيان العراق، كأول بلد يزوره، يعكس عمق العلاقات الأخوية بيننا». وأضاف أن «العراق، بالنسبة إلى إيران أكثر من مجرّد بلد جار، هو بلد صديق وشقيق وتربطنا مشتركات كثيرة»، مؤكداً أن «أمن العراق واستقراره من أمن إيران، وعدوّنا مشترك، وهو الكيان الصهيوني". 3

وأظهرت زيارة الرئيس الإيراني مسعود بزشكيان إلى العراق، والتي استمرت ثلاثة أيام، باعتبارها المحطة الأولى في السياسة الخارجية للحكومة الرابعة عشرة والوجهة الأولى لرئيس إيراني إلى العراق بعد الثورة الإسلامية، أهمية الجار الغربي في عقيدة السياسة الخارجية للجمهورية الإسلامية ونهج «الجيران أولاً». 4في الواقع اختيار الرئيس الإيراني مسعود بزشكيان العراق محطة أولى لرحلاته الخارجيَّة يستبطن إشارة مهمة على ما تسميه طهران أولوية العلاقة مع الجيران؛ من بين محاور ثلاثة تنتظم السياسة الخارجية الإيرانية، هي محور العلاقة مع الغرب ومحور العلاقة مع الشرق ومحور العلاقة مع المنطقة ودول الجنوب. ثمّ تأتي بعد ذلك أهمية الزيارة من قيمة الملفات المشتركة بين الطرفين، وما تحققه الدولتان من تقدم على صعيد كل واحدة منهما.5

علاوة على ذلك اختيار رئاسة الحكومة الإيرانية العراق كأولى المحطات الخارجية للرئيس الإيراني الجديد، تشرح أهمية العلاقة بين بغداد وطهران، وتقدمها على كل المستويات. لاسيما إيران لديها طموحات كثيرة في العراق، لعل أبرزها الأمن والتجارة، فهي تريد الحفاظ على أمن أراضيها، وتحديداً من جهة إقليم كردستان، إذ لا زالت تشعر بالخطر من المعارضة الكردية الإيرانية المستقرة في إربيل.

---

3 .«عراقچي: إيران مصدر لأقل من 7% من المياه الواردة للعراق ونرغب بالتعاون»، الفرات نيوز، 10 سبتمبر 2024، على الرابط:

https://alforatnews.iq/news/

4 .علي نجات،«أهمية وأبعاد زيارة الرئيس الإيراني إلى العراق»، (اهمیت و ابعاد سفر رئیس‌جمهور ایران به عراق)، راهبرد معاصر، 11 سبتمبر 2024، على الرابط: https://rahbordemoaser.ir/fa/news/256983/

5 . جواد علي كسار، «مقاربات في العلاقات العراقيّة . الإيرانيّة وأبرز الملفات»، جريدة الصباح، 11 سبتمبر 2024، على الرابط:

https://alsabaah.iq/102550-.html

وكان لهذه الزيارة التي انطلقت من بغداد ثم النجف وكربلاء وأربيل والسليمانية والبصرة العاصمة الاقتصادية لجمهورية العراق، ذات مكانة مهمة في العلاقات بين البلدين في الوضع الراهن للمنطقة. في هذه الزيارة، وضع بزشكيان ثلاثة أبعاد سياسية ودينية وعرقية وأمنية واقتصادية وتجارية على جدول الأعمال من وسط وشمال وجنوب العراق وشدد على تطوير العلاقات بين طهران وبغداد. إلى جانب هذه الزيارة التي استغرقت ثلاثة أيام، والتي ستلعب بالتأكيد دورا مهما في مستقبل العلاقات بين الجارتين اللتين تمتلكان أطول حدود مشتركة في المنطقة، فإن لدى طهران وبغداد ملفات مهمة ولم يتم حلها ولا تزال مطروحة على الطاولة، ويتطلب حلها الكامل إرادة وتخطيط وعزم.

ويمكن القول إنّ مرتكز العلاقة مع الجوار يعود بالعمق إلى حيثيات جيوسياسية طبيعية وحقيقية؛ طبيعية بحكم منطق الجغرافيا ومحدّداتها الجبرية؛ وحقيقية بحكم السياسة وما يلتحق بها من ملفات العلاقة بين الدول، وفي الطليعة منها الأمن والاقتصاد، ثمّ الثقافة والدين والتراث والتأريخ، وما تحمله من نقاط اشتراك أو التقاء على أقلّ تقدير، بالإضافة إلى ما تمليه العناصر المتحرّكة من متغيّرات إقليمية ودولية.

حين نأخذ هذا المعيار بعنصرَيه (الجغرافية، السياسة) كثيراً ما وجدنا أنَّ إيران تكرّر في المعلومات الأولية لترجيح محورية العلاقة مع الجيران، أنَّ لها جواراً مشتركاً مع (15) بلداً، تمتدّ فيها الحدود البرية والمائية مع هذه البلدان، إلى ما يتجاوز (8) آلاف كيلومتر. وبفعل المركّب الجيوسياسي، من البديهي جداً أن تكتسب العلاقة بين العراق وإيران أهمية مميّزة في السياسة الخارجية الإيرانية، ومن ورائها استراتيجيات الأمن القومي.

وفي غضون ذلك، صعود بزشكيان إلى الرئاسة جاء في نطاق عملية تكييف إيرانية لمراجعات دقيقة في الداخل، يعقبها تغييرات في السياسة الخارجية. وهذه لحظة مواتية للعراق الذي سجّل مبادرة مهمّة في أن يكون هو المحطة الأولى للرئيس الإيراني من بين بقية دول الجوار والعالم، مهما كانت المبرّرات الإيرانية لهذه الزيارة.6

6. جواد علي كسار، «مقاربات في العلاقات العراقيّة . الإيرانيّة وأبرز الملفات»، جريدة الصباح، 2024/09/11، على الرابط:

https://alsabaah.iq/102550-.html

ثلاث قضايا رئيسية في أجندة طهران - بغداد

خلال العقد الماضي، تسببت عدة عوامل سياسية واقتصادية وأمنية في فتور العلاقات الإيرانية العراقية. ولهذا السبب خلال زيارة الوفد الإيراني للعراق التي استمرت ثلاثة أيام، بحث الجانبان القضايا المؤثرة في العلاقات بين البلدين. وقع بزشكيان حزمة من الاتفاقيات ومذكرات التفاهم الأمنية والسياسية مع المسؤولين العراقيين، كما بحث بشكل معمق ملف الجماعات الكردية الإيرانية المعارضة الموجودة في إقليم كردستان والتي تصنفها طهران بأنها منظمات إرهابية. وأبرز المذكرات الأربع عشرة التي وقعها كانت تلك المتعلقة بالجانب الأمني والتبادل المعلوماتي، إلى جانب مذكرات اقتصادية وتجارية بين البلدين، فضلاً عن تأكيد اتفاقيات سابقة عقدت إبان حكم الرئيس الراحل إبراهيم رئيسي، الذي وقعت بغداد مع طهران حزمة اتفاقيات مختلفة خلال الأشهر الأولى من وصوله للحكم. وبشكل عام، تم خلال الزيارة التي استمرت ثلاثة أيام، التوقيع على 14 مذكرة تفاهم في مجالات وقطاعات مختلفة، شملت: الاقتصاد، والتعاون التدريبي، والشباب والرياضة، والتبادل الثقافي والفني والآثاري والتربية، والتعاون الإعلامي، والاتصالات، وتفويج المجاميع السياحية الدينية، والتعاون في مجال المناطق الحرة العراقية الإيرانية، وفي الزراعة والموارد الطبيعية، والبريد، والحماية الاجتماعية، والتدريب المهني والفني، وتطوير القوى العاملة الماهرة، والتعاون بين الغرف التجارية. وقد أكد الجانبان أن هذه المذكرات ستمثل خارطة عمل واعدة للمضي في تعزيز التعاون المشترك بين البلدين.

الملف الأمني: الجماعات الكردية الإيرانية المتمردة

شهدت العلاقات بين العراق وإيران بعد عام 2003 تقلبات كبيرة، تأثرت بالتغيرات السياسية والأمنية التي أعقبت سقوط نظام صدام حسين. وتدهورت الأوضاع نتيجة التدخلات الإقليمية، النزاعات الطائفية، والنفوذ السياسي والاقتصادي، بالإضافة إلى التحديات الأمنية. ويعتبر ملف المعارضة الكردية التي تتخذ من المناطق الحدودية مع إيران، مواقع لها، أحد الملفات الشائكة في العلاقات الثنائية. وفي كانون الثاني/يناير 2023، تصاعدت الأوضاع بعد هجمات صاروخية إيرانية استهدفت أربيل، بزعم وجود مقر للموساد، وهو ما نفته الحكومة العراقية، بعكس إقليم كردستان الذي اعتبر الهجوم انتهاكًا للسيادة العراقية.

لهذا السبب كانت مسألة تواجد الجماعات الكردية الإيرانية المتمردة في إقليم كردستان العراق من أبرز القضايا التي ناقشها الرئيس الإيراني مع رئيس الوزراء العراقي خلال زيارته الأولى خارج البلاد بعد تنصيبه. وفي هذا الصدد رئيس الوزراء العراقي محمد شياع السوداني، على رفض استخدام الأراضي العراقية منطلقًا لاستهداف إيران، فيما أكد الرئيس العراقي على دعم بلاده لتعزيز التعاون المشترك من أجل مكافحة الإرهاب والتطرف، وترسيخ أمن الحدود، والعمل على إنهاء التوترات في المنطقة، بينما من جانبه؛ دعا بزشكيان إلى تنفيذ اتفاقيات التعاون الأمني الثنائية من أجل التصدي للإرهابيين والأعداء، مشددًا على رغبة طهران في أن يكون العراق قويًا وآمنًا.7

ومن ناحية أخرى، تعهد رئيس إقليم كردستان العراق نيجيرفان بارزاني، للرئيس الإيراني مسعود بزشكيان، بعدم السماح باستخدام أرض كردستان في تهديد أمن إيران، وذلك في إشارة إلى ملف الجماعات الكردية الإيرانية الموجودة في إقليم كردستان العراق وتصنفها طهران جماعات إرهابية. وقال نيجيرفان بارزاني في تصريح مشترك مع بزشكيان إن «العلاقات بين الإقليم وإيران تاريخية»، مجدداً تأكيده «عدم السماح باستخدام أرض كردستان في تهديد أمن إيران». ولفت إلى «استعداد الإقليم لتعزيز العلاقات مع إيران على جميع المستويات»، مشيراً إلى أن «هذه رغبة أكدها أيضاً الرئيس الإيراني مسعود بزشكيان، الذي أعرب عن الاستعداد للتعاون مع إقليم كردستان في مختلف المجالات». وأضاف رئيس إقليم كردستان: «تحدثنا خلال اللقاءات التي جمعتنا مع الرئيس الإيراني عن تعزيز العلاقات الثنائية، وخصوصاً في المجال الأمني، وأكدنا أن أرض الإقليم لن تشكل تهديداً لإيران في أي شكل من الأشكال».8

وتأتي زيارة مسعود بزشكيان إلى العراق بعد تنفيذ الاتفاقية الأمنية بين طهران وبغداد في آذار/مارس 2023، والتي منحت العراق مهلة حتى 19 أيلول/ سبتمبر 2023 لنزع سلاح الأحزاب الكردية الإيرانية المتمركزة في إقليم كردستان، وإغلاق معسكراتها العسكرية. وفي 5 أيلول/ سبتمبر، قبل زيارة بزشكيان، تم إخلاء عدد من قوات حزب كومله كردستان إيران من معسكراتها في المناطق الحدودية المشتركة بين إقليم كردستان وكردستان إيران، ونقلت هذه القوات إلى معسكر سورداش على بعد 40 كيلومترا من الحدود الإيرانية،

7 . صفاء الكبيسي، «السوداني في مؤتمر مع بزشكيان: لا نسمح لأي جهة بتهديد إيران من الأراضي العراقية»، العربي الجديد، 11 سبتمبر 2024، على الرابط:

https://www.alaraby.co.uk/politics

8. صفاء الكبيسي، المصدر السابق.

كما منحت مهلة للقوات المتبقية من حزب كومله وعائلاتها للانتقال إلى معسكر سورداش لغاية العام الميلادي الحالي. وفي 6 أيلول/سبتمبر، سلم جهاز الأمن الكردي العراقي في السليمانية آسايش، أحد أعضاء الحزب الديمقراطي الكردستاني الإيراني، يدعى بهزاد خسروي، إلى السلطات الإيرانية، والذي كان مقيما في السليمانية بإقليم كردستان العراق ويحمل بطاقة لاجئ من المفوضية العليا لشؤون اللاجئين التابعة للأمم المتحدة. وفي وقت سابق من شهر تموز/يوليو، قدمت السلطة القضائية الإيرانية قائمة بأسماء نحو 120 من قادة وأعضاء الأحزاب الكردية الإيرانية المعارضة المقيمين في إقليم كردستان إلى الحكومة العراقية، طالبت بتسليمهم.

الملف الإقتصادي: المستحقات المجمدة وملف خط السكك الحديدية

تعد إيران واحدة من أكبر الشركاء التجاريين للعراق، حيث يعتمد العراق على استيراد الكهرباء والغاز من الجمهورية الإسلامية. ومع ذلك، وبسبب العقوبات الأمريكية المفروضة على طهران، يواجه العراق صعوبة في تسديد مستحقاته لإيران، مما جعل قضية كيفية دفع هذه المستحقات من الملفات المهمة في العلاقات بين البلدين. وفقًا لنائب رئيس غرفة تجارة العراق، لدى إيران 11 مليار دولار مجمدة في العراق، وهي أموال مستحقة لطهران. هذه المستحقات تُودع بالدينار في حساب شركة النفط الوطنية الإيرانية لدى المصرف العراقي للتجارة. وحتى منتصف عام 2023، كانت إيران قادرة على استخدام هذه الأموال لشراء السلع غير المشمولة بالعقوبات.

وتراكمت هذه الديون منذ أعادت الولايات المتحدة فرض عقوبات على إيران نهاية عام 2018، إثر انسحاب إدارة الرئيس السابق دونالد ترامب من الاتفاق النووي. والاتفاقات المبرمة بين العراق وإيران تنص على سداد قيمة مشتريات الغاز واستيراد الكهرباء والسلع الأخرى بالدولار الأمريكي، إلا أن عقوبات واشنطن على طهران تحول دون ذلك. وكبلت العقوبات الأمريكية على حركة الأموال الإيرانية، قدرة العراق على التعامل مع مستحقات إيران المتراكمة لديها رغم المفاوضات المختلفة التي شهدتها البلدين طيلة عام 2023 لإيجاد حل واضح لهذه الأزمة، وقد أعلنت الحكومة العراقية في شباط/فبراير 2023 أنها غير قادرة على الوفاء بالتزاماتها تجاه إيران بسبب العقوبات الأمريكية. 9

9 . محمود شعبان، «أزمة بين بزشكيان وحكومة بغداد.. ما هي قصة الديون العراقية المستحقة لإيران؟»، عربي بوست، 14 سبتمبر 2024، على الرابط:
https://arabicpost.live/%d8%a3%d8%ae%d8%a8%d8%a7%d8%b1/2024/09/13

ولهذا السبب من الملفات المطروحة بين إيران والعراق، والتي كانت على جدول أعمال زيارة الرئيس الإيراني والوفد المرافق له إلى بغداد، الإفراج عن 11 مليار دولار من الأصول الإيرانية المجمدة في بنوك العراق. ويدل حضور وزير الاقتصاد في هذه الزيارة، والذي كان رئيسا للبنك المركزي سابقا، على السعي الجاد لهذه القضية المطروحة على طاولة البلدين. وفيما يخص المستحقات المالية على الحكومة العراقية للجانب الإيراني، أوضح الرئيس العراقي عبد اللطيف جمال رشيد، أهمية العمل على إيجاد تفاهمات مشتركة وصيغة مناسبة لتسديد تلك المستحقات الى الجمهورية الاسلامية الإيرانية وبالعكس.10

لكن يبدو أن الطرفان لم يصلا بعد إلى نتيجة حول هذه المستحقات خلال هذه الزيارة، إذ لا تزال بغداد تنتظر الضوء الأخضر من واشنطن لإغلاق هذا الملف، علما أنه قبل أقل من شهرين، سافر وزير الخارجية العراقي فؤاد حسين إلى واشنطن للتفاوض على الإفراج عن الأصول الإيرانية المجمدة في العراق. وبحث وزير الخارجية العراقي، خلال لقاء مع نائب وزير الخارجية الأمريكي في واشنطن، مسألة المستحقات المحجوبة للجمهورية الإسلامية الإيرانية في العراق، وشدد على ضرورة إيجاد حل سريع وعادل لها. وهذه المسألة هي بطبيعة الحال جزء من الخلاف بين إيران وأميركا حول العقوبات، وإلى أن نرى تغييراً في هذا الصدد، فمن غير المرجح أن يتمكن العراق من تقديم هذه الأصول إلى طهران. 11

أما الملف الإقتصادي الآخر والهام للغاية والذي لطالما طرح على طاولة المحادثات بين إيران والعراق هو استكمال خط قطار الشلامجة - البصرة في العراق. وبالعودة إلى زيارة الرئيس الإيراني للعراق والملفات التي تمت مناقشتها في هذه الزيارة، جاء مشروع خط سكك حديد البصرة-شلامجة، على رأس الملفات التي جاء بزشكيان لمناقشتها مع رئيس الوزراء العراقي محمد شياع السوداني.

وجدير بالذكر، أنه في عام 2014 وقعت طهران وبغداد على مشروع لربط مدينة الشلامجة الحدودية بمدينة البصرة في جنوب العراق عبر خط سكك حديدية، لكن جاء اجتياح تنظيم داعش لأجزاء كبيرة من العراق في صيف 2014 ليوقف المشروع.

10 . «رئيس الجمهورية لنظيره الإيراني: ضرورة تفعيل بنود الاتفاقيات الموقعة بين البلدين»، وكالة الأنباء العراقية،11 سبتمبر 2024، على الرابط:

https://www.ina.iq/216664--.html

11 . «إنجاز رحلة ثلاثية الأبعاد إلى العراق»، (دستاورد سفر سه بعدى به عراق)، صحيفة دنياي اقتصاد،11 سبتمبر 2024، على الرابط:

https://donya-e-eqtesad.com-64/4103681-

وفي كانون أول/ديسمبر 2021 بعد تحسن الظروف الأمنية في العراق، تعهدت الدولتان بإكمال خط السكك الحديدية، وكانت المدة الزمنية المحددة للانتهاء من هذا المشروع هي 18 شهرا، ولكن إلى الآن لم يتم إنجاز هذا المشروع الذي تعتبره إيران مشروعا مهما سيعزز استراتيجيتها لتأمين مكانتها الإقليمية.

كما أكد الرئيس الإيراني مسعود بزشكيان خلال لقائه مع النخب والعشائر العراقية في البصرة على ارادة الحكومة الايرانية في انجاز مشروع الطريق السككي بين شملجة بمحافظة خوزستان ومحافظة البصرة العراقية مؤكدا أنه سيتابع شخصيا هذا الملف لدى عودته إلى طهران. وأضاف: انها خطوة اولى، ونحن عازمون على دعم كافة السبل التي تساعد في التقارب بين إيران والعراق. وقالت فرزانة صادق، وزيرة الطرق والتنمية الحضرية، لوسائل الإعلام خلال الزيارة: ستكون المشاورات والمفاوضات مع السلطات العراقية لاستكمال مشروع قطار الشلامجة-البصرة وتعزيز الطريق على جدول الأعمال.

لكن، بعيداً عن المشاكل الفنية، منذ اليوم الأول لهذا الاتفاق، كان هناك خلاف بين العراق وإيران حول الهدف من بناء خط سكك الحديد الفرعي هذا. تقول العراق إن الغرض من تسيير هذا القطار هو فقط لنقل الزوار إلى العتبات المقدسة في النجف وكربلاء، لكن إيران تتوقع أكثر من هذا وتعتقد أن هذا قطار سيتم بناؤه لنقل الركاب والبضائع وربط شبكة السكك الحديدية الإيرانية بالسكك الحديدية السورية عبر العراق. وترجع جذور هذا الخلاف إلى اختلاف المواقف الاقتصادية والاستراتيجية بين الجانبين.

تقول السلطات العراقية إن هذا المشروع لا يمكن استخدامه لغرض نقل البضائع، وذلك لأن موانئ إيران بعيدة عن المسافة المحددة. لكن مع إطلاق قطار الشلامجة-البصرة، يمكن استخدام هذا الطريق كمسار جيد لنقل الزوار الإيرانيين. في المقابل، يمكن للزوار العراقيين السفر إلى إيران بالقطار إلى مدينتي قم ومشهد. ورغم هذه العقبات، تصر إيران على أنه في المستقبل القريب، ومع الحركة المباشرة لقطار طهران-كربلاء، سنشهد ربط الحلقة المفقودة البالغة 36 كيلومترا بين البلدين. ويرتكز تحديد الأهداف على حقيقة أن مشروع الشلامجة-البصرة سيتم تشغيله خلال السنوات الثلاث المقبلة. 12

12 . «إنجاز رحلة ثلاثية الأبعاد إلى العراق»، المصدر السابق.

الملف السياسي: طلب الوساطة العراقية

يلعب العراق دوراً محورياً في الوساطة والتهدئة بين مختلف دول المنطقة والفاعلين فيها، إذ سبق أن لعب دوراً في خفض التصعيد بين الولايات المتحدة وإيران. إلى جانب ذلك، فإن بغداد اضطلعت بدور إيجابى فاعل فى حلحلة الأزمات بين طهران وأطراف إقليمية، علما بأنها، خلال الأعوام الثلاثة أو الأربعة الماضية، تحركت بهذا الاتجاه، ونجحت فى جمع ممثلين عن الحكومتين الإيرانية والسعودية حول طاولة واحدة، وسط ترحيب وارتياح من طهران والرياض.

وتأتي زيارة مسعود بزشكيان في ظل تنافس وتدافع أميركي إيراني، بعد انتخاب رئيس جديد ليقود طهران. ومن ضمن الأمور التي ناقشها الرئيس الإيراني مسعود بزشكيان مع رئيس الوزراء العراقي، كان طلب إيراني محدد ومهم في مسألتين: الأولى هي طلب الوساطة العراقية لدى واشنطن. وفي هذا الصدد، يقول مسؤول إيراني كان ضمن الوفد الرئاسي الذي زار العراق لـ«عربي بوست»، « بزشكيان طلب من السوداني أن يتوسط لإيران لدى واشنطن في أمرين: الأول التوصل إلى اتفاق مناسب للعودة إلى طاولة المفاوضات النووية خاصة وسط التوترات الحالية، والثاني هو أن يطلب السوداني من واشنطن إعفاء العراق من العقوبات المفروضة على إيران، لتتمكن بغداد من دفع ديونها المستحقة لإيران مقابل استيراد الطاقة والتجارة". وبحسب المصادر الإيرانية والعراقية المطلعة على لقاء السوداني وبزشكيان في العاصمة بغداد، فإن الرئيس الإيراني طلب من رئيس الوزراء العراقي الوساطة لإيران في استكمال المفاوضات بين إيران ومصر لاستعادة العلاقات الدبلوماسية والسياسية في أقرب وقت.13

وفي هذا الصدد، قال سفير الجمهورية الإسلامية الإيرانية في بغداد محمد كاظم آل صادق، قبل زيارة الرئيس الإيراني إلى العراق إن بلاده قطعت «شوطاً في إعادة العلاقات مع السعودية، ويتم الحديث عن تطوير العلاقات مع بعض دول المنطقة مثل مصر والأردن، وهذه الإمكانية موجودة للتعامل بهذا الموضوع». وأضاف آل صادق، في حديث مع تلفزيون «روداو» العراقي الكردي المحلي، أن «العراق يستطيع أن يلعب دوراً، كما قام بإعادة العلاقات بين الجمهورية الإسلامية والسعودية سابقاً، ونتأمل لعب هذا الدور لتوطيد هذه العلاقات مع سائر دول المنطقة».14

13. «كواليس أول زيارة خارجية للرئيس الإيراني الجديد للعراق.. طلب الوساطة في الملف النووي وخلافات حول المشاريع المشتركة»، عربي بوست، 13 سبتمبر 2024، على الرابط:
https://arabicpost.live//2024/09/13/

14 . «السفير الإيراني يكشف أهم الملفات بجدول أعمال الرئيس بزشكيان بزيارته إلى العراق»، سنترال، 6 سبتمبر 2024، على الرابط:
https://centrals.news/iraq/4524-.html

وجدير بالذكر أنه في الفترة ما بين 2020 و2022، قام رئيس الوزراء العراقي السابق مصطفى الكاظمي بترتيب عدة جولات لتقريب وجهات النظر بين إيران من جانب والسعودية والأردن ومصر من جانب آخر. وفي هذا الصدد، يقول المسؤول الحكومي العراقي لـ«عربي بوست»، «عندما زار السوداني مصر في الشهر الماضي، تحدث مع المسؤولين المصريين عن الطلب الإيراني باستكمال مفاوضات استعادة العلاقات، وقد رحب المسؤولون المصريون بهذا الأمر، وفي الاجتماع بين بزشكيان والسوداني، أكد الرئيس الإيراني على رغبته القوية في استعادة العلاقات مع مصر وطلب من السوداني إيصال هذه الرسالة إلى القاهرة لتسريع الأمور بالإضافة إلى تعزيز العلاقات الإيرانية الأردنية".15 وجدير بالذكر أنه بعد عودة الوفد الإيراني من العراق نشرت صحيفة العربي الجديد تقريرا أشارت فيه أن وزير الخارجية المصري بدر عبد العاطي سيزور إيران خلال الأيام المقبلة بهدف خفض التوتر في المنطقة.16

15 . «أول زيارة خارجية.. ما الرسائل التي يحملها بزشكيان أثناء زيارته العراق؟»، عربي بوست، 11 سبتمبر 2024، على الرابط:
https://arabicpost.live//2024/09/13/

16 . «ترتيبات مصرية لاستقبال وفد من الحوثيين... وعبد العاطي يزور طهران»، العربي الجديد، 14 سبتمبر 2024، على الرابط:
https://www.alaraby.co.uk/politics/

الخاتمة

مما لا شك فيه أن اختيار العراق لتكون المحطة الخارجية الأولى للرئيس الإيرانى الجديد تنطوى عليها دلالات مهمة، ومؤشر إلى حقائق جوهرية، حول رؤية طهران للعلاقات العراقية - الإيرانية، بصرف النظر عن هوية من يشغل منصب الرئيس فى إيران، وبصرف النظر عن الكثير من التجاذبات والمشاكل والأزمات فى المشهد السياسى العراقى العام. حيث تولى طهران أهمية كبيرة جدا لبغداد، مثلما تولى الأخيرة ذات الأهمية لطهران، لاعتبارات وأسباب مختلفة، لا سيما تعزيز العلاقات مع البلدين الجارين فى كل الجوانب والمجالات، بما ينسجم مع مصالح الطرفين، وبما يسهم فى تعزيز الأمن والسلام فى المنطقة.

ورافقت زيارة مسعود بزشكيان إلى العراق ردود فعل متباينة في إيران. ويعتقد الإصلاحيون أن هذه الزيارة كانت ناجحة، ومن هذا المنطلق فإن زيارة بزشكيان إلى أربيل ثم السليمانية هي عرض رمزي لقوة نفوذ إيران في إقليم كردستان العراق ضد المنافسين الإقليميين مثل تركيا التي تسعى إلى زيادة نفوذها في إقليم كردستان العراق التي تعتبر مجال النفوذ التقليدي لإيران.

لكن الأصوليين يرون أنه رغم توقيع الجانبين على 14 مذكرة تفاهم حول التعاون، إلا أنه لم يكن هناك «اتفاقية تعاون» تعني استكمال مراحل الاتفاق. وانتهت زيارة بزشكيان إلى بغداد حتى دون نشر البيان المشترك لحكومتي إيران والعراق، وهو ما يدل على وجود خلافات حالت دون صدور البيان الختامي. كما أن أهم هدف لزيارة الرئيس الإيراني إلى بغداد كان محاولة الحصول على موارد إيران المالية التي لا تستطيع طهران الوصول إليها بسبب العقوبات المالية الأميركية، وبقي هذا الملف دون نتائج.

وفي غضون ذلك، الملف المطروح على طاولة إيران والعراق، والذي شهد، على عكس الملفات الأخرى، تقدماً جيداً نسبياً هو الاتفاقية الأمنية المشتركة مع بغداد وإقليم كردستان العراق حول أمن الحدود واستقرارها ونزع سلاح الجماعات والميليشيات الكردية العراقية، وحول أهمية دور سياسات أربيل والسليمانية في نجاح تنفيذها.

لِدولةٍ فاعلةٍ ومجتمعٍ مُشارِك

www.bayancenter.org
info@bayancenter.org